

جان كانتينو حياته ومكانته العلمية وجهوده في دراسة أصوات اللغة العربية

كلية التربية للبنات / جامعة البصرة

م.م. سارة طه خطاب

كلية التربية للبنات / جامعة البصرة

أ. د. ظافر كاظم عبد الرزاق

ملخص البحث:

يُعدُّ جان كانتينو من الشخصيات الاستثنائية البارزة التي تركت أثراً واضحاً في دراسة كلِّ ما يخصُّ الأصوات اللغوية، ولا سيَّما العربيَّة وكذلك اللهجات، مُنطلقاً من أسس علميَّة ولسانيَّة حديثة. يُسلِّط هذا البحثُ الضوءَ على أبرز جهودِه العلميَّة التي تخصُّ دراسة اللُّغة العربيَّة، مُركِّزاً على كُتائِه المَعْرُوفين: "دُرُوس في عِلْم أَصْوَاتِ الْعَرَبِيَّة" و"دِرَاسَاتُ فِي اللِّسَانِيَّاتِ الْعَرَبِيَّة".

الكلمات المفتاحية: (جان كانتينو - عِلْمُ الأصْوَاتِ - اللهجات)

Jean Cantino: His Life, Scientific Status, and Efforts in Studying the Phonetics of the Arabic Language

ABSTRACT:

Jean Cantineau was a distinguished Orientalist scholar who significantly contributed to the field of linguistic phonetics, particularly the study of Arabic and its dialects, employing modern scientific and linguistic methodologies. This paper highlights his key scholarly contributions to Arabic language studies, focusing on his influential books: "Leçons de phonétique

arabe" (Lessons in Arabic Phonetics) and "Études de linguistique arabe" (Studies in Arabic Linguistics).

Keywords: (Jean Cantino, phonology, dialects).

المقدمة:

يُعَدُّ كَانْتِينُو مِنْ الشَّخْصِيَّاتِ الْبَارِزَةِ فِي مَجَالِ الدِّرَاسَاتِ اللُّغَوِيَّةِ الَّتِي لَمْ تَكْتَفِ بِدِرَاسَةِ اللُّغَاتِ الْعَرَبِيَّةِ وَامْتَدَّتْ - إِهْتِمَامَاتُهَا لِدِرَاسَةِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَلَمْ تَتَوَقَّفْ تِلْكَ الْإِهْتِمَامَاتِ عَلَى دِرَاسَةِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْفُصْحَى بَلْ شَمِلَتْ اللَّهْجَاتِ وَالنُّقُوشَ أَيْضًا، (جَانُ كَانْتِينُو) جُزْءٌ مِنَ الْحَرَكَةِ الْإِسْتِشْرَاقِيَّةِ الَّتِي سَعَتْ لِفَهْمِ الثَّقَافَةِ الشَّرْقِيَّةِ عَلَى نَحْوِ عَامٍ وَدِرَاسَةِ لُغَاتِ الشَّرْقِ عَلَى نَحْوِ خَاصٍّ.

إِذْ لَمْ تَكُنِ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ بِالنِّسْبَةِ لـ (جَانُ كَانْتِينُو) مُجَرَّدَ مَوْضُوعٍ دِرَاسَةٍ، بَلْ كَانَتْ بِمِثَابَةِ نَافِذَةٍ يُطَلُّ مِنْ خِلَالِهَا عَلَى عَالَمٍ زَاخِرٍ بِالتَّارِيخِ وَالثَّقَافَةِ، وَلِذَلِكَ سَعَى بِكُلِّ مَا يَمْلِكُ مِنْ أَجْلِ فَهْمِ أَسْرَارِ تِلْكَ اللُّغَةِ وَكَشْفِ خَبَايَاهَا، فَقَدْ كَانَتْ رِحْلَتُهُ رِحْلَةً اسْتِكْشَافِيَّةً تَرَكَ بَعْدَهَا بَصْمَةً وَاضِحَةً فِي دِرَاسَةِ الْأَصْوَاتِ الْعَرَبِيَّةِ وَاللَّهْجَاتِ الْعَرَبِيَّةِ، إِذْ قَامَ بِتَحْلِيلِ النِّظَامِ الصَّوْتِيِّ لِلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِأَقْسَامِهَا الْمُخْتَلِفَةِ الْفِيزِيَاءِيَّةِ وَالْفُنُولُوجِيَّةِ، فَضْلًا عَنْ دِرَاسَةِ اللَّهْجَاتِ وَتَحْلِيلِهَا وَرَبِطَ دِرَاسَتَهَا بِمَا يَخُصُّ الْأُبْحَاثَ الصَّوْتِيَّةَ لِلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَفَقَّهَ اللُّغَةَ، فَكَانْتِينُو لَمْ يَكُنْ مُجَرَّدَ بَاحِثٍ بَلْ كَانَ عَاشِقًا لِلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، إِذْ انْغَمَسَ فِي دِرَاسَةِ أَصْوَاتِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَلَهْجَاتِهَا الْقَدِيمَةِ، تَارِكًا خَلْفَهُ إِرْثًا عِلْمِيًّا لَا يُقَدَّرُ بِثَمَنٍ، وَلِذَلِكَ يُعَدُّ شَخْصِيَّةً فَرِيدَةً، جَمَعَتْ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالشَّغْفِ الْمَعْرِفِيِّ وَبَيْنَ الدِّقَّةِ وَالْمُعَاصَرَةِ.

أولاً: ترجمة حياة جان كانتينو:

وُلِدَ (جَانْ كَانْتِينُو) فِي أَيْنَالْ (أَلْفُوجْ) فِي 9 مِنْ يُونْيُو 1899، أَمَضَى طُفُولَتَهُ فِي سَانْ كِلُونِيدْ بِالْقُرْبِ مِنْ بَارِيسْ، وَأَكْمَلَ تَعْلِيمَ الثَّانَوِيِّ فِي (سَانْ لُوسِينْ) 1918م وَكَانَ مُوْهُوبًا فِي الْعُلُومِ وَالرِّيَاضِيَّاتِ (يَنْظُر: فليش، 1958: مقال).

حَصَلَ عَلَى دَرَجَةِ الْبَكَالَوْرِيُوس فِي عَام 1924 وَدَرَجَةِ الْمَاجِسْتِير فِي عَام 1926 فِي اللُّغَاتِ الْكِلَاسِيكِيَّةِ فِي إِيكْسْ أُونْ بَرُوفَانْسْ حَصَلَ أَيْضًا عَلَى شَهَادَاتٍ مِنَ الْمَدْرَسَةِ التَّطْبِيقِيَّةِ لِلدِّرَاسَاتِ الْعُلْيَا، وَمَدْرَسَةِ الْلُوفِرْ وَذَلِكَ مَا بَيْنَ الْعَامَيْنِ (1929 - 1982)، (يَنْظُر: كَالِيك، 1993، مقال).

بَيْنَ عَامَيْ (1928-1933)، كَانَ عَضُوءًا فِي الْمَعْهَدِ الْفَرَنْسِيِّ دِي دَامَاسْ؛ إِذْ أَجْرَى أبحاثًا فِي الْمُنْطَقَةِ الَّتِي عَاشَ فِيهَا الْأَنْبَاطُ السَّابِقُونَ، مِنْ أَضَلْ عَرَبِيٍّ تَبَنَّا اللُّغَةَ وَالثَّقَافَةَ الْأَرَامِيَّةَ، ثُمَّ فِي تَدْمُرْ دَرَسَ اللَّهْجَاتِ النَّبْطِيَّةَ وَالتَّدْمُرِيَّةَ، وَبَعْدَ عَام 1933م انْتَقَلَ إِلَى شَمَالِ أَفْرِيقِيَا، وَأَلْقَى مُحَاضَرَاتٍ حَوْلَ اللُّغَاتِ السَّامِيَّةِ فِي كَلِيَّةِ الْأَدَابِ بِجَامِعَةِ الْجَزَائِرِ، وَفِي غُضُونِ ذَلِكَ حَصَلَ عَلَى شَهَادَةِ الدُّكْتُورَاهِ بِأَطْرُوحَتِهِ الَّتِي خَصَّصَهَا لِلُّغَةِ النَّبْطِيَّةِ فِي عَام 1935م، وَالَّتِي قَدَّمَهَا إِلَى جَامِعَةِ الشَّرْبُونِ وَكَانَتْ عِبَارَةً عَنْ مُجَلَّدَيْنِ، وَفِي الْعَامِ التَّالِيِ أَصْبَحَ أَسْتَاذًا فِي جَامِعَةِ الْجَزَائِرِ، خَدَمَ فِيهَا حَتَّى عَام 1937م، ثُمَّ عَادَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى فَرَنْسَا وَتَرَأَسَ كُرْسِيَّ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الشَّرْقِيَّةِ الَّذِي تَمَّ إِنْشَاؤُهُ حَدِيثًا فِي الْمَدْرَسَةِ الْوُطَنِيَّةِ لِلُّغَاتِ الشَّرْقِيَّةِ فِي فَاَنْتَسْ فِي بَارِيسْ (يَنْظُر: كَالِيك، 1993، مقال).

بَعْدَ حُصُولِ (كَانْتِينُو) عَلَى شَهَادَةِ الْمَاجِسْتِير فِي عَام 1926م فَكَّرَ لِفَتْرَةٍ مِنَ الزَّمَنِ فِي التَّحْضِيرِ لِتَجْمِيعِ التَّارِيخِ، غَيْرَ أَنَّهُ وُلِدَ عَالِمًا لُغَوِيًّا وَكَانَ الشَّرْقُ يَجْذِبُهُ بِفَارِغِ الصَّبْرِ لِذَلِكَ قَامَ عَلَى الْقَوْرِ بِالْقِيَامِ بِكُلِّ مَا يُمَكِّنُهُ مِنَ التَّدْرِيبِ

مِنْ أَجْلِ أَنْ يُضْبَحَ عَالِماً لُغَوِيّاً مُشْتَرِقاً، فَتَلَقَّى الدُّرُوسُ مِنْ (دوسو Dussaud) فِي مَدْرَسَةِ اللُّوْفِر، وَفِي مَدْرَسَةِ اللُّغَاتِ الشَّرْقِيَّةِ، وَحَصَلَ عَلَى الدِّبْلُومِ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْفُضْحَى عَلَى يَدِ الْأُسْتَاذِ (فودنروا دِيْمُونِيْن. Demonbyne Gaudefor) ثُمَّ أَضْبَحَ تَلْمِيْذاً مُجَازاً فِي مَدْرَسَةِ الدِّرَاسَاتِ الْعُلْيَا، وَتَابَعَ مُؤْتَمَرَاتِ الْأَبِ (شَايِل Sahil) وَكَذَلِكَ (ازيدور ليفي Isidore Levy) (وَمَارْسَال كُوْهَان Marcieh Cohen)، وَفِي عَامِ 1928م تَحَقَّقَتْ أُمْنِيَّتُهُ بِتَعْيُنٍ غَيْرِ مُتَوَقَّعٍ فِي الْمَعْهَدِ الْفَرَنْسِيِّ فِي دِمَشْقٍ فَأَقَامَ فِي دِمَشْقٍ لِمُدَّةِ خَمْسَةِ سَنَوَاتٍ (كَانْتِينُو، 2017، ينظر: 23-24)، وَيَنْظُرُ: (لويس، مَارْسِيِيَه، مَقَال).

وَيُعَدُّ (جَانْ كَانْتِينُو) مُتَحَدِّثاً عَرَبِيّاً وَلُغَوِيّاً وَابْنًا لِعَسْكَرِيٍّ، جَذَبَهُ الشَّرْقُ فَأَقَامَ فِي سُورِيَا خَمْسَ سَنَوَاتٍ (1928-1933) وَأَتَا حَتَّى لَهُ الْإِقَامَاتُ الْمُتَكَرِّرَةُ فِي تَدْمُرٍ نَشَرَ التُّقُوشِ الْعَدِيدَةَ الَّتِي تَمَّ الْكَشْفُ عَنْهَا مِنْ خِلَالِ التَّنْقِيَّاتِ فِي مَعْبَدٍ بَيْلٍ وَالْإِكْتِشَافَاتِ وَالْحَفَرِيَّاتِ الْمُصَادَفَةِ، وَالَّتِي كَانَتْ مَاتَزَالُ حَدِيثَةً الْإِكْتِشَافِ عِنْدَ وَفَاتِهِ، وَفِي إِحْدَى الْجَلَسَاتِ فِي الْجَزَائِرِ فِي عَامِ 1967م حَكَمَ عَلَيْهِ الْوَزِيرُ طَالِبُ الْإِبْرَاهِيمِي - وَهُوَ وَزِيرُ خَارِجِيَّةِ الْجَزَائِرِ سَابِقاً - بِأَنَّهُ " خَائِنٌ الْمُتَوَاضِعِينَ " وَوَصَفَهُ بِـ " كَامُو الْجَزَائِرِيِّ " ⁽¹⁾ مَعَ ذَلِكَ فَقَدْ اتَّخَذَ الْإِلْقَاءَ وَجْهًا لَوَجْهِ بَيْنَ الْمَعْلَمِ وَالسَّجِينِ مَعْنَى جَدِيدًا فِي

(1) كامو وهو فيلسوف عبثي وكاتب مسرحي وروائي فرنسي قُتل والده وعاش مع امه المصابة بالصمم في الجزائر، يرتبط سلف عائلة كامو ارتباطاً وثيقاً بالوجود الفرنسي في الجزائر وقد كان نسب كامو نموذجاً للمواطنين الفرنسيين المولودين في الجزائر والقائمين بها والذين كان يطلق عليهم بالفرنسية ما يترجم حرفياً "الاقدام السوداء" (مؤسسة هنداوي) وربما استعمل الوزير هذا اللقب واطلقه على كانتينو من باب التهكم ويعني به مستوطن فرنسي في الجزائر.

الجزائر منذ التسعينيات فيصبح كما هو رائد الكتابة الجزائرية الناطقة بالفرنسية التي تسعى إلى إيجاد طريق بين التزسيخ الثقافي والالتزام السياسي بعد علميات القتل والنفي التي تعرض لها الكتاب والتي عاشها الجزائريون كرمز مؤلم للجزمان من الحرية والديمقراطية (ينظر: فليش، 1958: مقال).

أسهم "كانتينو" في نشر النظريات الصوتية لمدرسة براغ، وكانت هذه الإسهامات اللغوية غير مختصة بالترجمة فقط، ولا في مجال تخصصه في اللغة العربية، إنما برز كأحد أكبر علماء فرنسا، واحتل مكانة فريدة جداً بين الساميين، وكان على اتصال في وقت مبكر جداً بالأفكار الصوتية لمدرسة براغ، وما زال من ضمن العلماء النادرين الذين أدركوا أهمية هذه الأفكار، وقاموا بتطبيقها في وصف اللغات واللهجات السامية المختلفة، فضلاً عن ذلك فإن توجهه التحليلي الحاد، الذي شحذه التدريب المبكر كعالم رياضيات، قد انعكس في العديد من إسهاماته اللغوية العامة التي ظهرت في العديد من المجالات اللغوية الرائدة (ستانلي، مقال).

وكان (بالمز) هو من أعطى (كانتينو) تلك اللوحة عن احتمال إيجاد طريق جديد للبحث، والذي سيصبح فيما بعد ضرورياً ألا وهو علم اللهجات، والذي يقصد به الدراسة العلمية للهجات العربية الحديثة، ونتيجة لذلك فقد أقام "كانتينو" مدة طويلة في تدمر، وشرع في ذلك الوقت إلى دراسة تنوع اللغة العربية بشكل منهجي، وكانت ثمرة أبحاثه أطروحته الموسومة بـ "اللهجة العربية في تدمر"، إذ كانت تدمر سوقاً كبيراً يقصده البدو لبيع منتجات مواشيهم، وكانت لهجة هؤلاء العرب البدو تختلف عن اللهجات التي يستعملها أهل الحضر، فقام "كانتينو" بدراستها، وشيئاً فشيئاً وسع من مجال بحثه، فانتقل إلى القبائل المجاورة التي تعيش في مناطق نهر الفرات الأوسط، وقد ساعدته الظروف السياسية أياً ما ساعدة على القيام

بمهمته، فقد يَسَّرَ الحكمُ الفرنسيُّ بسوريا قيامَ الاتصالاتِ المتواصلةِ بينَ الإدارةِ العسكريةِ الفرنسيةِ وشيوخِ المجتمعاتِ القبليةِ، وقد برعَ "كانتينو" في الإفادةِ من هذا الوضعِ، ولعلَّ هذا ما يفسرُ وفرةَ الملاحظاتِ ودقَّتِها وصحَّتِها مقارنةً مع اضطرابِها وعدمِ دقَّتِها قبلَهُ (كانتينو، 2017، ينظر: 26-27)، و(لويس، مارسِييه، مقال).

توفي "جان كانتينو" في 8 أبريل 1958م في "سانت جنيف في دي بوا" بالقربِ من باريس، ولقد خصَّصَ للغةِ العربيةِ في الواقعِ غالبيةَ نشاطِهِ العلميِّ الذي امتدَّ من النقوشِ الساميةِ الغربيةِ إلى المقارنةِ الساميةِ واللسانياتِ العامةِ (ينظر: فليش، 1958: مقال).

(وخلالَ حوالي خمسٍ وعشرينَ سنةً، نشرَ "كانتينو" الكثيرَ من الأعمالِ، وتمثَّلَ إنتاجُهُ العلميُّ بمجموعةٍ ضخمةٍ، لكنَّ أقسامَها متفاوتةً تفاوتًا كبيرًا؛ فهي تتراوحُ بينَ العملِ الذي يتكوَّنُ من مجلدينِ اثنينِ، والملاحظاتِ الوجيزةِ، مرورًا بمذكراتِ البحثِ المتراوحةِ بينَ المائةِ صفحةٍ والمائتينِ، والمقالِ الذي لا يتضمَّنُ أكثرَ من عشرينَ صفحةً. وهذا الاختلافُ في أحجامِ الأعمالِ ووزنِ قيمَتِها يتفقُ مع تشتُّتِ ملحوظٍ في حقولِ مصنَّفاتٍ شديدةِ التنوعِ: منشوراتِ المتحفِ الوطنيِّ السوريِّ، والأعمالِ الجماعيةِ المهداةِ... إلخ.) (كانتينو، 2017: 24)، و(لويس، مارسِييه، مقال).

وقد توزعتْ أعمالُهُ في أربعِ مجموعاتٍ: اللسانياتِ العربيةِ واللهجاتِ العربيةِ، واللسانياتِ العامةِ، والنقوشِ. وكانت كما يأتي: -

1- النبطيون: وهو عملٌ مكوَّنٌ من مجلدينِ عن اللغةِ النبطيةِ وقواعدها، نُشرَ في عام 1920م. وهو أولُ عملٍ منظمٍ، حيثُ حصلَ المجلدُ الأولُ منه على جائزةِ مؤسسةِ "بورردان" الفخريةِ في عام 1932م.

- 2- اختراع نقوش تدمر (بيروت 1930-1949): وهو عمل يتكون من عشر ملزمات، وهو عبارة عن جرد لنقوش تدمر.
- 3- اللهجة التدمرية (بيروت 1934): وهي عبارة عن دراسة للغة تدمر مرتبطة باللهجة العربية.
- 4- قواعد الكتابة التدمرية (القاهرة 1935): وهي عبارة عن دراسة لقواعد اللغة التدمرية المستخدمة في النقوش.
- 5- دروس في الصوتيات العربية (ميلون 1941): ويتكون من ملاحظات حول صوتيات اللغة العربية، وقد ألقاها في جامعة الجزائر.
- 6- المتحدثون العرب في حوران (باريس 1946): وهي دراسة مكتوبة عن الهافران العربية.
- 7- مبادئ علم الأصوات (باريس 1948): وهي ترجمة فرنسية لكتاب تروبيستكوي، وتعامل مع علم الأصوات العام.
- 8- ماتويل الابتدائية العربية الشرقية (باريس 1953): وهو كتيب عن اللغة العربية الشرقية قام بإعداده مع يوسف الحلباوي (ينظر: كاليك، 1993، مقال)، وينظر: (العقيقي، 2006: 1/ 308-309).

ثانياً: التعريف بكتابي جان كانتينو والموازنة بينهما ووقفه مع العنوان:

يُعدُّ كتاب "دروس في علم أصوات العربية" أول عمل صوتي (لجان كانتينو) إذ قام بتأليفه في الجزائر عام 1941م، ثم ترجمه إلى اللغة العربية الأستاذ صالح القرمادي عام 1966م، لكن هذا الكتاب سبق بدراسات صوتية كثيرة، أشار إليها (جان كانتينو) بنفسه في مقدمته كتابه، منها دراسة المُستشرقين الألمانين: فلين (Wallin) عام 1855م، وبزوك (Brücke)

عام 1860م، وفولازس (Vollers) عام 1892م، وآرتور شادة (Shaade)، فضلاً عن أعمال لبغض المؤلفين الذين درسوا اللهجات العربية الحديثة، أمثال: مازسي (W. Marçais) عام 1902م، وماتسون (Mattsson) عام 1911م، وكوهين (M. Cohen) عام 1912م (كانتينو، 1966، ينظر: 11-12).

ول (جان كانتينو) كتابان: الأول منهما وهو "دروس في علم أصوات العربية"، ويركز بهذا الكتاب على دراسة علم الأصوات، وقد نُشر هذا الكتاب مستقلاً؛ لرغبة جان بتقديم مادة صوتية واضحة لطلّبه، أمّا كتابه الثاني "دراسات في اللسانيات العربية" فركّز به كانتينو على دراسة اللهجات بصورة عامة ودراسة اللهجة العربية بصورة خاصة، وفي كلا الكتابين لا نجد غياباً للفونولوجيا التي كان كانتينو متأثراً بها تأثراً كبيراً، بعد ذلك جمع كلا الكتابين تحت عنوان واحد مع إجراء بعض التعديلات البسيطة، وكان ذلك بعد ترجمته لكتاب تروبتسكوي من الألمانية إلى الفرنسية "مبادئ في الفونولوجيا" في عام 1949م، إذ تأثر كثيراً بالأفكار الفونولوجية التي طرحها تروبتسكوي وقام بتوظيفها في كتابه (زواقري، 2024، ينظر: 111).

وبذلك يُمكن القول إن الحياة العلمية لكانتينو تنقسم على طورين: أعمال ما قبل ترجمته لكتاب تروبتسكوي وأعمال ما بعدها، إذ يميّز الطور الأول بتقديم أصوات اللغة العربية تقديمًا غير بعيدٍ عن المكتسبات التي وصلت إليها اللسانيات العامة والدراسات الصوتية البنيوية قبل ظهور (حلقة براغ)، مع ربطها بما تتوقّر عليه النظريات النحوية العربية في مجال الصوتيات بدايةً من كتاب سيبويه، أمّا الطور الثاني فيتمثل بما بعد ترجمة كتاب تروبتسكوي "مبادئ في الفونولوجيا" من الألمانية إلى الفرنسية، إذ

أَفَادَ كَانْتِنُيُو أَيْمًا إِفَادَةً مِنَ الْمَفَاهِيمِ وَالْأُصُولِ الصَّوْتِيَّةِ الَّتِي تَوَصَّلَ إِلَيْهَا تَرْوِثُشْكُوي فِي مَبَادِئِهِ، وَسَعَى إِلَى تَطْبِيقِهَا عَلَى الْعَرَبِيَّةِ الْفُضْحَى وَاللَّهْجَاتِ الَّتِي تَنَاولَهَا بِالْدِّرَاسَةِ (كانتينو، 2017، ينظر: 10-11).

وَقَدْ جَاءَ كِتَابُ (جَانِ كَانْتِنُيُو) مُقَسَّمًا عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ:

1- الْقِسْمُ الْأَوَّلُ: وَكَانَ بِعُنْوَانِ "مَعْلُومَاتٌ عَامَّةٌ"، عَرَّفَ كَانْتِنُيُو بِهِذَا الْقِسْمِ عِلْمَ الْأَصْوَاتِ وَتَحَدَّثَ عَنْ فُرُوعِهِ، ثُمَّ أَشَارَ إِلَى أَقْسَامِ كُلِّ فَرْعٍ مِنْهَا، وَفِي كِتَابِهِ الْأَوَّلِ تَحَدَّثَ كَانْتِنُيُو عَنْ قِسْمَيْنِ هُمَا الْجَانِبُ النُّطْقِيُّ وَالْجَانِبُ السَّمْعِيُّ (كانتينو، 1966، ينظر: 17)، وَلَكِنَّهُ أَشَارَ إِلَى الْأَقْسَامِ الثَّلَاثَةِ فِي كِتَابِهِ الثَّانِي "دِرَاسَاتٌ فِي اللِّسَانِيَّاتِ الْعَرَبِيَّةِ" (كانتينو، 2017، ينظر: 48)، ثُمَّ تَحَدَّثَ عَنْ جِهَازِ النُّطْقِ وَقَدْ اسْتَعْمَلَ تَسْمِيَةً خَاصَّةً بِهِ فَأَطْلَقَ عَلَيْهِ "جِهَازُ التَّصْوِيتِ"، وَاکْتَفَى كَانْتِنُيُو فِي هَذَا الْقِسْمِ بِالْإِشَارَةِ إِلَى أَعْضَاءِ النُّطْقِ مِنْ دُونِ تَوْشُّعٍ فِي شَرْحِ تِلْكَ الْأَجْزَاءِ، ثُمَّ خَتَمَ حَدِيثَهُ بِمَجْمُوعَةٍ مِنَ الْأَرَاءِ، وَتَحَدَّثَ أَيْضًا عَنْ كَيْفِيَّةِ إِحْدَاثِ الصَّوْتِ وَأَشَارَ إِلَى الْعَوَامِلِ الَّتِي تُسَهِّمُ فِي إِحْدَاثِ الصَّوْتِ فَأَشَارَ إِلَى النَّفْسِ وَالْعَارِضِ، وَلَكِنَّهُ أَضَافَ إِلَيْهِمَا عَامِلَيْنِ آخَرَيْنِ وَهُمَا نَزِيرُ الْأَوْتَارِ الصَّوْتِيَّةِ وَالْعُنَّةُ الْخَيْشُومِيَّةُ (كانتينو، 1966، ينظر: 19-20)، (كانتينو، 2017، وينظر: 51-52).

ثُمَّ تَحَدَّثَ عَنْ تَرْتِيبِ الْكَلَامِ الْبَشَرِيِّ أَيْ أَنَّ الْكَلَامَ الْبَشَرِيَّ يَتَكَوَّنُ مِنْ قِسْمَيْنِ أَاسَاسِيَّيْنِ هُمَا الْخُرُوفُ (الصَّوَامِتُ بِالْمُضْطَلَحِ الْحَدِيثِ) وَالْحَرَكَاتُ (الصَّوَائِتُ بِالْمُضْطَلَحِ الْحَدِيثِ)، وَتَحَدَّثَ عَنِ الصِّفَةِ الْمُمَيِّزَةِ لِكُلِّ قِسْمٍ وَهِيَ قِيَامُ الْحَاجِزِ (الْعَارِضِ)، إِذْ يَجْتَازُ النَّفْسُ ذَلِكَ الْحَاجِزَ فِي الْخُرُوفِ أَمَّا الْحَرَكَاتُ فَيَجْرِي مَعَهَا النَّفْسُ حُرًّا طَلِيقًا (كانتينو، 1966، ينظر: 20)، وَفِي كِتَابِهِ "دِرَاسَاتٌ فِي اللِّسَانِيَّاتِ الْعَرَبِيَّةِ" أَشَارَ إِلَى قِسْمٍ ثَالِثٍ هُوَ الْوَحَدَاتُ الْإِيقَاعِيَّةُ - النَّغْمِيَّةُ (كانتينو، 2017، ينظر: 53).

2- القسم الثاني: وَكَانَ بَعْنَوَانِ "دِرَاسَةً فِي نِظَامِ الحُرُوفِ" تَحَدَّثَ كَانْتِنُو فِي هَذَا الْقِسْمِ عَنِ نِظَامِ الحُرُوفِ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، كَمَخَارِجِ الْأَصْوَاتِ وَصِفَاتِهَا وَتَرْتِيبِهَا بِحَسَبِ اخْتِلَافِ مَعَايِيرِ التَّرْتِيبِ، فَتَحَدَّثَ عَنِ النِّظَامِ الصَّوْتِيِّ لِلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْقَدِيمَةِ كَمَا دَرَسَهَا عُلَمَاؤُنَا الْعَرَبُ سَابِقًا، أَمثالُ سَيِّوَيْهِ (ت 180هـ) وَابْنِ يَعِيشَ (ت 643هـ) وَالزَّمْخَشَرِيِّ (ت 538هـ)، وَعُلَمَاءُ التَّجْوِيدِ أَمثالُ ابْنِ الْجَزَرِيِّ (ت 833هـ)، وَالْأَطْبَاءِ وَالْفَلَّاسِفَةِ أَمثالُ ابْنِ سِينَا (ت 428هـ)، بَلْ حَتَّى الْمُفَسِّرُونَ أَمثالُ الرَّازِيِّ (ت 311هـ) (زواقري، 2024، ينظر: 112).

وَرَتَّبَ كَانْتِنُو الْأَصْوَاتَ اللُّغَوِيَّةَ بِحَسَبِ عِدَّةِ مَعَايِيرَ، أَشَارَ إِلَى ثَلَاثَةٍ مِنْهَا فِي كِتَابِهِ "دُرُوسٌ فِي عِلْمِ أَصْوَاتِ الْعَرَبِيَّةِ" وَهِيَ:

1- بِحَسَبِ النُّقْطَةِ الَّتِي يَقُومُ عِنْدَهَا الْحَاجِزُ (الْعَارِضُ)، أَيْ مَخَارِجِ الْأَصْوَاتِ.

2- بِحَسَبِ أَهَمِّيَّةِ ذَلِكَ الْحَاجِزِ، أَيْ دَرَجَةِ الْإِنْفِتَاحِ.

3- بِحَسَبِ صِفَاتِ الْأَصْوَاتِ (كانتينو، 1966، ينظر: 22).

وَلَكِنَّهُ فِي كِتَابِهِ الثَّانِي حَدَّدَ خَمْسَةَ مَعَايِيرَ، إِذْ يَقُولُ: (وَجَبَ أَنْ نَفْحَصَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى كُلِّ حَرْفٍ عِنْدَ أَيِّ نُقْطَةٍ مِنْ جِهَازِ التَّصْوِيتِ وَبِتَقَارُبِ أَيِّ الْأَعْضَاءِ يَتَكَوَّنُ الْحَاجِزُ (أَيْ مَخْرَجُ الحُرُوفِ)، وَمَا دَرَجَةُ أَهَمِّيَّةِ الْحَاجِزِ الْحَاصِلِ (أَيْ دَرَجَاتُ الْإِنْفِتَاحِ)، وَمَا هِيَ الْخَاصِيَّاتُ الَّتِي تُرَافِقُ اجْتِيَازَ الْهَوَاءِ لِذَلِكَ الْحَاجِزِ (أَيْ صِفَاتُ الْأَصْوَاتِ)، وَمَا مَدَى قِيَامِ الْحَاجِزِ (الْكَمُّ)، وَأَخِيرًا مَا هِيَ الْأَثَارُ الصَّوْتِيَّةُ الْمُصَاحِبَةُ لِحُدُوثِ الْحَرْفِ) (كانتينو، 2017، ينظر: 53-54).

وَيَلَاحِظُ هُنَا اسْتِعْمَالَهُ لِمُصْطَلَحِ "الحَرْفِ" وَلَيْسَ الصَّوْتُ، وَهَذَا مَا لَا يَزْتَضِيهِ عِلْمُ الْأَصْوَاتِ الْحَدِيثِ كَمَا سَيَأْتِي:

أ- قَسَمَ الْأَصْوَاتَ بِحَسَبِ الْمَغْيَارِ الْأَوَّلِ، أَيْ مَخَارِجِ الْأَصْوَاتِ إِلَى الْأَصْوَاتِ الشَّفَوِيَّةِ وَالْأَصْوَاتِ الشَّفَوِيَّةِ الْأَسْنَانِيَّةِ وَالْأَصْوَاتِ الَّتِي بَيْنَ الْأَسْنَانِ وَالْأَسْنَانِيَّةِ... إلخ (كانتينو، 1966، ينظر: 22-23).

أَمَّا فِي كِتَابِهِ "دِرَاسَاتٌ فِي اللِّسَانِيَّاتِ الْعَرَبِيَّةِ" فَقَدْ كَانَ كَانْتِينُو أَكْثَرَ تَفْصِيلاً، وَأَضَافَ أَيْضاً مُصْطَلَحَاتٍ جَدِيدَةً -اغلبها يعود إلى اجتهاد المترجم - وَلَمْ يَكْتَفِ بِتَحْدِيدِ مَخَارِجِ الْأَصْوَاتِ الْعَرَبِيَّةِ، بَلْ نَجَدُهُ يَتَحَدَّثُ أَيْضاً عَنِ الْأَصْوَاتِ الْفَرَنْسِيَّةِ، فَمَثَلًا الْأَصْوَاتُ الشَّفَوِيَّةُ يُقَسِّمُهَا إِلَى شَفَوِيَّةٍ وَشَفَوِيَّةٍ أَسْنَانِيَّةٍ، وَالْأَصْوَاتُ الَّتِي يَشْتَرِكُ اللِّسَانُ مَعَ اللِّثَةِ يُطْلَقُ عَلَيْهَا الْأَصْوَاتُ الطَّرْفِيَّةُ أَوْ الْأَصْوَاتُ الْأَسْنَانِيَّةُ، وَيُقَسِّمُهَا إِلَى طَّرْفِيَّةٍ مُسَطَّحَةٍ وَطَّرْفِيَّةٍ مَعَارِزِيَّةٍ أَوْ لَثَوِيَّةٍ، أَمَّا الْأَصْوَاتُ الَّتِي تَنْتُجُ مِنْ انْطِبَاقِ ظَهْرِ اللِّسَانِ عَلَى الْفَكِّ الْأَعْلَى يُطْلَقُ عَلَيْهِمَا الْأَصْوَاتُ الظَّهْرِيَّةُ، وَيُقَسِّمُهَا إِلَى أَصْوَاتٍ أَدْنَى حَنَكِيَّةٍ وَأَفْصَى حَنَكِيَّةٍ، وَالْأَصْوَاتُ الْغَشَائِيَّةُ وَيُقَسِّمُ الْأَصْوَاتَ بِحَسَبِ شَكْلِ اللِّسَانِ، أَيْ كَوْنِهِ مُقَعَّرًا أَوْ مُسَطَّحًا إِلَى: الْأَصْوَاتِ الصَّفِيرِيَّةِ وَالْأَصْوَاتِ الْمُشَاشَةِ، وَأَشَارَ أَيْضاً إِلَى الْأَصْوَاتِ الْجَانِبِيَّةِ وَالْأَصْوَاتِ الشَّفَوِيَّةِ الْغَشَائِيَّةِ، أَيْ الْأَصْوَاتِ الَّتِي تَنْتُجُ بِتَقْرِيْبِ أَفْصَى الْحَنَكِ وَاللِّسَانِ مِنْ جِهَةٍ وَتَقْرِيْبِ الشَّفَتَيْنِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، وَأَشَارَ إِلَى الْأَصْوَاتِ الَّتِي يَتِمُّ اسْتِعْمَالُ دَاخِلِ الْفَمِ مَعَهَا بِصُورَةٍ خَاصَّةٍ (كانتينو، 2017، ينظر: 54-56). وَقَسَّمَهَا إِلَى أَصْوَاتٍ حَلْقِيَّةٍ وَأَصْوَاتٍ حَنْجَرِيَّةٍ، ثُمَّ أَشَارَ إِلَى الْأَصْوَاتِ الْمُلْتِينَةِ وَالْأَصْوَاتِ الْمُفَحَّمَةِ الْمُعْشَاةِ وَالْأَصْوَاتِ الْمُفْرَقَّةِ، وَالَّتِي يَكُونُ لَهَا مَخْرَجٌ أَمَامِيٌّ وَمَخْرَجٌ غَشَائِيٌّ، وَبِعَمَلِيَّةٍ تُشَبِّهُ عَمَلِيَّةَ الْإِمْتِصَاصِ يَقِلُّ كَمُّ الْهَوَاءِ بَيْنَ هَاتَيْنِ التَّنْفُطَتَيْنِ، وَعِنْدَمَا يَزُولُ الْحَاجِزُ الْأَمَامِيُّ يَنْدَفِعُ الْهَوَاءُ بِقُوَّةٍ إِلَى الْخَارِجِ فَيُحْدِثُ صَوْتًا مُمَيَّزًا. وَأَشَارَ أَيْضاً إِلَى الْأَصْوَاتِ الْمَائِعَةِ (كانتينو، 2017، ينظر: 57-58).

ب- بِحَسَبِ أَهَمِّيَّةِ ذَلِكَ الْحَاجِزِ أَيْ بِحَسَبِ دَرَجَةِ الْإِنْفِتَاحِ، أَيْ الْأَصْوَاتِ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا الْإِنْفِتَاحُ مَعْدُومًا وَيُطْلَقُ عَلَيْهَا الْأَصْوَاتُ الشَّدِيدَةُ: الْبَاءُ وَالْتَاءُ وَالذَّالُ وَالْكَافُ وَالْقَافُ وَالْهَمْزَةُ، وَأَضَافَ كَانْتِنُيُو صَوْتُ (P) وَالتِّي يُنْطَقُ بِهَا عِنْدَمَا تَتَحَوَّلُ الْبَاءُ الْمَجْهُورَةُ إِلَى الْمَهْمُوسَةِ، وَكَذَلِكَ صَوْتُ (g)، وَالْأَصْوَاتُ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا الْإِنْفِتَاحُ ضَعِيفًا وَيُطْلَقُ عَلَيْهَا أَصْوَاتُ بَيْنَ الشَّدَّةِ وَالرَّخَاوَةِ أَوْ الْأَصْوَاتُ الرَّخَوَةُ: الْفَاءُ وَالشَّاءُ وَالذَّالُ وَالشِّينُ وَالزَّيَّي وَالْجِيمُ، الَّتِي غَالِبًا يَقْصِدُ بِهَا الْجِيمُ الشَّامِيَّةُ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ يَتَحَدَّثُ عَنِ الْجِيمِ الْعَرَبِيِّ الْفُضْحَى فَإِنَّ إِقْحَامَهُ هَذَا الصَّوْتِ هُنَا يَكُونُ خَطَأً، وَالْحَاءُ وَالْعَيْنُ وَالْحَاءُ وَالْعَيْنُ، وَأَضَافَ كَانْتِنُيُو أَصْوَاتًا أُخْرَى تَكُونُ فِي اللَّهَجَاتِ الْعَرَبِيَّةِ وَهِيَ وَسَطُ بَيْنَ الشَّدَّةِ وَالرَّخَاوَةِ، حَيْثُ يَكُونُ جُزْؤُهَا الْأَوَّلُ شَدِيدًا وَالْجُزْءُ الثَّانِي رَخَوًا، وَهِيَ الْجِيمُ الْمُعْطَشَةُ (ج) أَيْ الَّتِي تَكُونُ بَيْنَ الشِّينِ وَالْجِيمِ أَوْ مَا تُسَمَّى بِالشِّينِ الْمَجْهُورَةِ أَحْيَانًا، وَكَذَلِكَ (تَش) وَ(تَس) (كانتينو، 1966، ينظر: 23-24)، (زواقري، 2024، وينظر: 112).

أَمَّا النُّوعُ الثَّالِثُ مِنَ الْأَصْوَاتِ فَهِيَ الْأَصْوَاتُ الْخِشُومِيَّةُ الَّتِي يَنْغَلِقُ الْقَمُ عِنْدَ النُّطْقِ بِهَا فَيَتَسَرَّبُ هَوَاءُ الزَّفِيرِ مِنَ الْأَنْفِ وَهِيَ الْمِيمُ وَالنُّونُ، وَأَضَافَ كَانْتِنُيُو النُّونَ الْخَفِيفَةَ (y)، أَمَّا النُّوعُ الرَّابِعُ مِنَ الْأَصْوَاتِ وَالتِّي يَكُونُ فِيهَا الْإِنْفِتَاحُ مُتَوَسِّطًا هِيَ الْأَصْوَاتُ الْمَائِعَةُ: اللَّامُ وَالرَّاءُ، أَمَّا النُّوعُ الْخَامِسُ فَهِيَ الْأَصْوَاتُ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا الْإِنْفِتَاحُ كَبِيرًا وَهِيَ أَنْصَافُ الْحَرَكَاتِ الْوَاوُ وَالْيَاءُ، وَالْأَصْوَاتُ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا الْإِنْفِتَاحُ كَبِيرًا جَدًّا وَهِيَ الْهَاءُ الَّتِي تُسَمَّى هَاوِيَّةً (كانتينو، 1966، ينظر: 24-25).

أَمَّا فِي كِتَابِهِ "دِرَاسَاتُ فِي اللِّسَانِيَّاتِ الْعَرَبِيَّةِ" فَقَدْ تَحَدَّثَ كَانْتِنُيُو عَنْ نَفْسِ الْأَقْسَامِ الَّتِي ذَكَرَهَا فِي كِتَابِهِ الْأَوَّلِ، مَعَ اسْتِعْمَالِهِ لِبَعْضِ الْمُصْطَلَحَاتِ الْجَدِيدَةِ، وَالتِّي كَانَتْ فِي أَغْلِبِهَا مِنْ اخْتِيَارَاتِ الْمُتَرْجِمِ، مِثْلُ مُصْطَلَحِ

الأصوات الانعلاقيّة، التي يقصدُ بها الأصوات الشديدة، والأصوات الدّعكيّة ويقصدُ بها الأصوات الرخوة، أمّا الأصوات الصائتة فقد ضمّت تحت هذا القسم الأصوات الخيشوميّة أو الأنفيّة والأصوات المائعة وأشباه الحركات والهاء المنقّسة، ثمّ ختم حديثه بأنّ النحاة العرب عرّفوا تصنيف الأصوات بحسب درجّة الانفتاح، فقد ميّزوا بين الأصوات الشديدة والأصوات الرخوة والأصوات التي تكون بين الشدّة والرخاوة (كانتينو، 2017، ينظر: 59-60).

ج- بحسب مختلف الخصائص التي تُصاحب قيام ذلك الحاجر (العارض)، أي صفات الأصوات. فهناك مجموعة من الأصوات تشترك في صفةٍ معيّنة، وهناك أصوات تنفرد بصفاتٍ خاصّةٍ بها، وقد أشار علماؤنا العرب لأغلب تلك الصفات وتحدّثوا عنها، أمّا كانتينو فقد أضاف إلى تلك الصفات الأصوات المضعّفة (كانتينو، 1966، ينظر: 25-26)، (زواقري، 2024، وينظر: 113)، ونحن نعتقد أنّ كانتينو هنا راعى الإعتبارات الكتابيّة لا الإعتبارات النطقية؛ لأنّ التّصنيف مُصطلحٌ كتابيٌّ ويقصدُ به الإدغام، أمّا في كتابه "دراسات في اللسانيات العربيّة" فقد استعمل مُصطلحاتٍ مختلفةً ويعودُ أغلبها كما أشرنا سابقاً إلى اختيار المترجم، فقد تحدّث عن كلّ صفةٍ وما يقابلها، إذ أشار إلى الأصوات القويّة ويقابلها الأصوات الضّعيفة، الأصوات المجهورة ويقابلها الأصوات المهموسة، الأصوات المُكثّفة أو المضعوطة ويقابلها غير المضعوطة أو الخفيفة، الأصوات المنقّسة ويقابلها غير المنقّسة، ثمّ أشار إلى صفاتٍ مُفردةٍ وهي الأصوات الطبقة أو الرجعيّة أو المُقدوفة والأصوات المحقونة (كانتينو، 2017، ينظر: 61-62).

وهذه المعايير التي ذكرها كانتينو ووضّح أقسامها هي معايير عامّة غير مُختصّة باللغة العربيّة وحدها، فقد ضمّ هذا التّصنيف تحت عنوانٍ رئيسيٍّ

أُطْلِقَ عَلَيْهِ "عُمُومِيَّاتٌ"، أَمَّا فِي كِتَابِهِ "دِرَاسَاتٌ فِي اللِّسَانِيَّاتِ الْعَرَبِيَّةِ" فَكَمَا تَقَدَّمَ أَضَافَ فِيهِ جَانُ كَانْتِينُو مَعْيَارَيْنِ آخَرَيْنِ وَهُمَا الْكَمُّ وَالرَّيْنُ الْمُصَاحِبُ لِنُطْقِ بَعْضِ الْأَصْوَاتِ (كانتينو، 2017، ينظر: 62-63).

وَفِي الْحَقِيقَةِ هَذِهِ الْإِضَافَةُ تُعَدُّ هَامَّةً وَإِشَارَةً ذَكِيَّةً مِنْ قِبَلِ كَانْتِينُو، فَمِنْ خِلَالِ مَعْيَارِ الْكَمِّ يُمَكِّنُ التَّمْيِيزَ بَيْنَ الْأَصْوَاتِ الطَّوِيلَةِ وَالْأَصْوَاتِ الْقَصِيرَةِ، فَهُوَ يَعْكُسُ كَمِّيَّةَ الطَّاقَةِ الصَّوْتِيَّةِ الْمُتَبَعَّةِ مَعَ الْأَصْوَاتِ، فَلَا أَصْوَاتُ الَّتِي تَكُونُ طَاقَتُهَا الصَّوْتِيَّةَ عَالِيَةً تَكُونُ أَكْثَرَ وَضُوحًا مِنَ الْأَصْوَاتِ الَّتِي تَكُونُ طَاقَتُهَا مُنْخَفِضَةً، أَمَّا مَعْيَارُ الرَّيْنِ فَهُوَ يُوضِّحُ كَيْفَ يَكُونُ لِتَجَاوِيفِ الْأَنْفِ وَالْفَمِ دَوْرٌ وَتَأْثِيرٌ عَلَى طَبِيعَةِ الْأَصْوَاتِ.

وَبَعْدَ ذَلِكَ انْتَقَلَ لِلْحَدِيثِ عَنِ النَّظَامِ الصَّوْتِيِّ لِلُّغَةِ السَّامِيَّةِ الَّتِي تَفَرَّعَتْ مِنْهَا عِدَّةُ لُغَاتٍ قَدِيمَةٍ، وَبَعْضُ هَذِهِ اللُّغَاتِ تَفَرَّعَتْ مِنْهَا لُغَاتٌ أُخْرَى أَيْضًا، مِنْهَا الْأَكْدِيَّةُ الَّتِي تَفَرَّعَتْ مِنْهَا الْأَشُورِيَّةُ وَالْبَابِلِيَّةُ... (كانتينو، 1966، ينظر: 26)، وَقَدْ انْتَبَهَ كَانْتِينُو أُنْثَاءَ دِرَاسَتِهِ لِنِظَامِ الْأَصْوَاتِ السَّامِيِّ إِلَى أَنَّهَا تَتَكَوَّنُ مِنْ مَجْمُوعَاتٍ مُثَلَّثَةٍ أُطْلِقَ عَلَيْهَا "الثَّوَالِثُ الْمُرَكَّبَةُ"، وَهِيَ مَسْأَلَةٌ هَامَّةٌ مِنْ مَسَائِلِ الْفُونُولُوجِيَا، وَقَدْ تَحَدَّثَ عَنْهَا الْعُلَمَاءُ فِي سِيَاقِ أَنْوَاعِ الْمُقَابَلَاتِ الَّتِي تَكُونُ إِمَّا بِحَسَبِ التَّنَاسُبِ فِيمَا بَيْنَهَا مِثْلُ (P) وَ(B) فَهُمَا مِنْ مَخْرَجٍ وَاحِدٍ وَالْجَامِعِ بَيْنَهُمَا هُوَ الْإِخْتِلَافُ فِي الْجَهْرِ وَالْهَمْسِ، أَوْ عَدَمِ وُجُودِ التَّنَاسُبِ بَيْنَهُمَا مِثْلُ (P) وَ(g) فَهِيَ مُقَابَلَاتٌ مُفْرَدَةٌ (الحاج صالح، 2012: 247-250)، وَيَنْظُرُ: (زواقري، 2024: 114، وحمزة، 2023: 126).

وَوَجَدَ (جَانُ كَانْتِينُو) عِنْدَمَا طَبَّقَ مَبْدَأَ التَّقَابِلَاتِ أَوْ التَّبَائِنَاتِ الْفُونُولُوجِيَّةِ عَلَى الْأَصْوَاتِ اللُّغَةِ السَّامِيَّةِ أَنَّ هُنَاكَ سِتَّةَ ثَوَالِثَ مُرَكَّبَةٍ مِنْ مَخْرَجٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ أَمْرٌ لَا يُمَكِّنُ تَوْفُّرَهُ فِي اللُّغَاتِ الْمُتَوَلِّدَةِ مِنَ اللُّغَةِ السَّامِيَّةِ الْأُمِّ، وَلَكِنَّهَا تُعَدُّ مِيزَةً لِتَحْقِيقِ التَّقَارُبِ بَيْنَ اللُّغَاتِ السَّامِيَّةِ وَتَجْعَلُ الْمُقَارَنَةَ

بَيْنَهَا سَهْلَةً، وَلَا حَظَّ أَيْضًا أَنَّ هُنَاكَ أَرْبَعَةً مِنْ هَذِهِ الثَّوَالِيثِ مِنْ مَخْرَجِ الْأَسْنَانِ مِثْلَ الثَّاءِ وَالذَّالِ وَالذَّالِ الْمَفْحَمَةِ (كانتينو، 1966: 27-28)، (زواقري، 2024، وينظر: 114).

بَعْدَ ذَلِكَ تَحَدَّثَ عَنْ نِظَامِ الْأَصْوَاتِ فِي الْعَرَبِيَّةِ الْقَدِيمَةِ كَمَا جَاءَتْ فِي كُتُبِ عُلَمَائِنَا الْعَرَبِ سَابِقًا كَسِيَّوَيْهِ وَابْنِ يَعِيشَ وَالزَّمْخَشَرِيِّ، فَأُورِدَ تَرْتِيبُ سِيَّوَيْهِ وَتَصْنِيفُهُ لِلْأَصْوَاتِ بِحَسَبِ الْمَخَارِجِ (المَوَاضِعِ)، وَبَعْدَ ذَلِكَ ذَكَرَ تَصْنِيفَهُ هُوَ لِلْأَصْوَاتِ الْعَرَبِيَّةِ، وَذَكَرَ أَنَّ تَرْتِيبَهُ لِلْأَصْوَاتِ بِحَسَبِ مَخَارِجِهَا مُوَافِقٌ تَقْرِيبًا لِتَرْتِيبِ سِيَّوَيْهِ.

ثُمَّ ذَكَرَ صِفَاتِ الْأَصْوَاتِ كَمَا وَرَدَتْ عِنْدَ عُلَمَائِنَا الْعَرَبِ سَابِقًا، فَذَكَرَ الصِّفَاتِ الَّتِي لَهَا مُقَابِلٌ وَهِيَ الشَّدِيدَةُ وَالرَّخْوَةُ، الْمَهْمُوسَةُ وَالْمَجْهُورَةُ الْمُطْبَقَةُ وَغَيْرُ الْمُطْبَقَةِ، وَذَكَرَ أَيْضًا أَنَّ الْعَرَبِ سَابِقًا لَمْ يَفَرِّقُوا بَيْنَ دَرَجَةِ الْإِنْفِتَاحِ وَصِفَاتِ الْأَصْوَاتِ، فَهُمْ جَمَعُوا هَذَيْنِ النَّوعَيْنِ فِي بَابٍ وَاحِدٍ وَهُوَ صِفَاتُ الْأَصْوَاتِ (كانتينو، 1966، ينظر: 28-33).

أَشَارَ كَانْتِينُو إِلَى أَنَّ مُصْطَلَحَ الْمَجْهُورِ وَالْمَهْمُوسِ يُعَانِي مِنْ بَعْضِ الْعُمُوضِ لَدَى بَعْضِ الْمُسْتَشْرِقِينَ، فَقَدْ عَارَضَ الْمُسْتَشْرِقَانِ غَارْدَنَرُ (Gairdner) وَبِرَافْمَانُ (Bravmann) النَّظْرِيَّةَ الْقَائِلَةَ إِنَّ كَلِمَةَ (Sonores) تَعْنِي مَجْهُورًا وَأَنَّ كَلِمَةَ (Sourde) تَعْنِي مَهْمُوسًا، وَحُجَّتُهُمَا فِي ذَلِكَ:

1- أَنَّ الْعَرَبِ سَابِقًا كَانُوا يَجْهَلُونَ دَوْرَ الْأَوْتَارِ الصَّوْتِيَّةِ فِي عَمَلِيَّةِ إِنْتَاجِ الصَّوْتِ.

2- إِنَّ التَّرْجَمَةَ الْحَرْفِيَّةَ لِكَلِمَةِ (Sonores) تَعْنِي رَنَانًا وَلَا تَعْنِي مَجْهُورًا، وَكَلِمَةَ (Sourde) تَعْنِي مَخْنُوقًا وَلَا تَعْنِي مَهْمُوسًا، حَيْثُ يَرَى بِرَافْمَانُ أَنَّ لَفْظَ الْمَجْهُورِ يُرَادَفُ لَفْظَ الْقَوِيِّ وَالْمَهْمُوسِ يُرَادَفُ لَفْظَ الضَّعِيفِ، تَوَلَّى (جَانُ كَانْتِينُو) مُهِمَّةَ الرَّدِّ عَلَى هَذَا الْإِعْتِرَاضِ قَائِلًا:

1- أَنَّهُ يُمْكِنُ التَّفْطُنُ إِلَى الْمُقَابَلَةِ بَيْنَ الْمَجْهُورِ وَالْمَهْمُوسِ تَفْطُنًا دَقِيقًا مِنْ دُونِ مَعْرِفَةِ سَبَبِهَا الْحَقِيقِيِّ.

2- أَنَّ اسْتِعْمَالَ الْعَرَبِ لِمُصْطَلَحِ مَجْهُورٍ، (Vowels) كَمَا يُسَمَّى فِي الْإِنْجِلِيزِيَّةِ، أَوْ (Sonores) بِالْفَرَنْسِيَّةِ، وَالَّذِي اسْتَعْمَلَهُ كَانْتِينُو، وَاسْتِعْمَالَ لَفْظِ (Sourde) بِمَعْنَى مَهْمُوسٍ لَا يَعْنِي اسْتِحَالَةَ أَنْ يَكُونَ لَفْظٌ مَجْهُورٌ مُرَادِفًا أَيْضًا لِلْفَظِ الْقَوِيِّ وَالْمَهْمُوسِ مُرَادِفًا لِلْفَظِ الضَّعِيفِ، وَلَا سِيَّما بَأَنَّ هَذَيْنِ اللَّفْظَيْنِ يُسْتَعْمَلَانِ فِي الْفَرَنْسِيَّةِ عَلَى النَّحْوِ الْآتِي: (Sonores) الْأَصْوَاتُ الْمُضْحُوبَةُ بِتَنْزِيلِ الْأَوْتَارِ الصَّوْتِيَّةِ، وَ(Sourde) الْأَصْوَاتُ غَيْرُ الْمُضْحُوبَةِ بِتَنْزِيلِ الْأَوْتَارِ الصَّوْتِيَّةِ.

أَمَّا الْإِعْتِرَاضُ عَلَى أَنَّ بَعْضَ الْأَصْوَاتِ كَانَتْ مِنْ ضَمْنِ زُمْرَةِ الْأَصْوَاتِ الْمَجْهُورَةِ وَالْيَوْمَ قَدْ تَمَّ إِبْثَاتُ أَنَّهَا مَهْمُوسَةٌ، فَإِنَّ كَانْتِينُو يُعَلِّقُ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ لَيْسَ لَهَا قِيَمَةٌ حَقِيقِيَّةٌ؛ لِأَنَّهُ يَرَى أَنَّ الْقَافَ وَالطَّاءَ كَانَتَا سَابِقًا تُنْطَقَانِ مَجْهُورَتَيْنِ ثُمَّ تَحَوَّلَ نُطْقُهُمَا إِلَى مَهْمُوسَةٍ، أَمَّا الهمزة فَسَبَبُ اتِّصَالِهَا بِالْأَلِفِ جَعَلَ الْعَرَبَ يَعْتَبِرُونَهَا خَطَأً مَجْهُورَةً (كانتينو، 1966، ينظر: 34-35).

ثُمَّ تَحَدَّثَ عَنِ الشِّدَّةِ وَالرَّخَاوَةِ، وَكَانَ يَرَى أَنَّ مُصْطَلَحَ (Occlusion) يُوَافِقُ مُصْطَلَحَ الشِّدَّةِ مُوَافَقَةً تَامَةً، وَمُصْطَلَحَ (Spirantisme) يُوَافِقُ مُصْطَلَحَ الرَّخَاوَةِ (الْأَصْوَاتُ الرَّخْوَةُ)، ثُمَّ تَحَدَّثَ كَانْتِينُو عَنِ الْإِطْبَاقِ وَيَقَابِلُهُ الْإِنْفِتَاحَ، وَرَأَى أَنَّ الْإِطْبَاقَ جُزْءٌ مِنْ مَفْهُومِ التَّفْخِيمِ، أَيْ أَنَّ مُصْطَلَحَ التَّفْخِيمِ مُصْطَلَحٌ عَامٌّ يَشْمَلُ الْأَصْوَاتَ الْمُطَبَّقَةَ وَالْأَصْوَاتَ غَيْرَ الْمُطَبَّقَةِ، وَهُوَ يَرَى أَنَّ الْعَرَبَ سَابِقًا لَمْ يَسْتَعْمِلُوا مُصْطَلَحَ التَّفْخِيمِ بِمَعْنَاهُ الْعَامِّ الْمُطْلَقِ كَمَا يَتِمُّ اسْتِعْمَالُهُ الْيَوْمَ، فَهُمْ كَانُوا يَسْتَعْمِلُونَ مُصْطَلَحَ التَّفْخِيمِ فِيمَا يَبْدُو لِلْإِشَارَةِ إِلَى

الصَّوْتِ الْوَاحِدِ، فَهُوَ قَدْ يُنْطَقُ مَرَّةً مُفَحَّماً وَيُنْطَقُ مَرَّةً أُخْرَى مُرَقَّاً (كانتنيو، 1966، ينظر: 35-37).

وَهَذِهِ الْمُلَاحَظَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا كَانْتِينُو صَحِيحَةٌ؛ لِأَنَّ مُصْطَلَحَ التَّفْخِيمِ لَمْ يَسْتَعْمَلْهُ جَمِيعُ اللُّغَوِيِّينَ الْعَرَبِ الْقُدَامَى، إِذْ إِنْ الْمَصْطَحَ الَّذِي شَاعَ بَيْنَ الْقَدَمَاءِ هُوَ الْإِطْبَاقُ لِلدَّلَالَةِ عَلَى التَّفْخِيمِ (العاني، 1983: 71)، وَيَنْظُرُ: (علي، 2015: 154)، فَسَيَبُوِيهِ اسْتَعْمَلَ مُصْطَلَحَ الْأَصْوَاتِ الْمُطْبَقَةِ فِي مُقَابِلِ الْأَصْوَاتِ الْمُفَحَّمَةِ (سيبويه، 1982، ينظر: 436/4) أَمَا التَّفْخِيمُ فَقَدْ اسْتَعْمَلَهُ مَرَّةً وَاحِدَةً لَوْصَفَ صَوْتٍ مِنَ الْأَصْوَاتِ الْمُسْتَحْسَنَةِ وَهُوَ أَلِفُ التَّفْخِيمِ إِذْ قَالَ: (والف التّفخيم يعني بلغة أهل الحجاز...)، (الكتاب، 1982: 432/4)، وَيَنْظُرُ: (الصيغ، 2007: 146)، وَابْنُ جَنِّي كَذَلِكَ اسْتَعْمَلَ مُصْطَلَحَ الْإِطْبَاقِ بَدَلًا مِنَ التَّفْخِيمِ (ابن جني، 1985، ينظر: 61) وَابْنُ سِينَا أَيْضًا (ابن سينا: ينظر: 77)، فَقَدْ اسْتَعْمَلَ الْعَرَبُ مُصْطَلَحَ الْإِطْبَاقِ لِلْأَصْوَاتِ الَّتِي يُرَافِقُهَا ارْتِفَاعٌ كَامِلٌ لِمُؤَخَّرِ اللِّسَانِ، وَاسْتَعْمَلُوا مُصْطَلَحَ الْإِسْتِعْلَاءِ لِلْأَصْوَاتِ الَّتِي يُرَافِقُهَا ارْتِفَاعٌ لِمُؤَخَّرِ اللِّسَانِ وَلَكِنَّهُ غَيْرُ كَامِلٍ، أَمَا مُصْطَلَحُ التَّفْخِيمِ فَإِنَّهُ يُطْلَقُ عَلَى مَا يَتَعَلَّقُ بِطَرِيقَةِ نَظْقِ الصَّوْتِ الْوَاحِدِ، وَيَبْدُو أَنَّ الْعَرَبَ فَعَلُوا ذَلِكَ لِيَزَادَةَ الْوُضُوحَ وَتَجَنُّبِ الْإِلْتِبَاسِ.

بَعْدَ ذَلِكَ أَشَارَ كَانْتِينُو إِلَى الصِّفَاتِ الْمَفْرَدَةِ، أَيْ الصِّفَاتِ الَّتِي لَيْسَ لَهَا مُقَابِلٌ (كانتنيو، 1966، ينظر: 37-39). ثُمَّ تَحَدَّثَ عَنْ نِظَامِ الْأَصْوَاتِ فِي اللَّهْجَاتِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُعَاصِرَةِ، وَلَاحَظَ أَنَّ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ الْفُصْحَى تَكْثُرُ فِيهَا الْأَصْوَاتُ الْمُنْعَزَلَةُ، فَهِيَ تَمْلِكُ عَشْرَةَ أَصْوَاتٍ مُنْعَزَلَةٍ مِنْ مَجْمُوعِ ثَمَانِيَةِ وَعِشْرِينَ صَوْتًا، وَالْمَقْصُودُ بِالْمُنْعَزَلَةِ أَنَّهَا لَا تَنْتَسِبُ إِلَى الْأَزْدِوَاجِ وَلَا إِلَى الثَّوَالِيثِ، عَلَى الْعَكْسِ مِنَ اللَّهْجَاتِ الَّتِي وَصَلَتْ مَرَحَلَةً أَضْبَحَتْ فِيهَا الْأَصْوَاتُ الْمُنْعَزَلَةُ قَلِيلَةً جَدًّا، وَذَلِكَ نَتِيجَةُ انْتِظَامِهَا إِمَّا بِحَذْفِ الْأَصْوَاتِ

الْمُنْعَزَلَةُ أَوْ بِدْخُولِهَا فِي مَجْمُوعَاتٍ ثُنَائِيَّةٍ أَوْ ثَوَالِثَ (كانتينو، 1966: 40-41)، وينظر: (زواقري، 2024: 114-115).

3- الْقِسْمُ الثَّالِثُ: وَكَانَ بِعُنْوَانٍ "دِرَاسَةٌ فِي نِظَامِ الْحَرَكَاتِ". وَفِي هَذَا الْفَصْلِ تَحَدَّثَ كَانْتِينُو عَنْ نِظَامِ الْحَرَكَاتِ فِي اللُّغَاتِ بِشَكْلِ عَامٍّ، وَطَرَحَ أَمْثَلَةً مِنَ اللُّغَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ وَالتُّرْكِيَّةِ، ثُمَّ تَحَدَّثَ عَنْ دَرَجَةِ الْإِنْفِتَاحِ الَّتِي تُعَدُّ أَهَمُّ خَاصِيَّةٍ يَتِمُّ مِنْ خِلَالِهَا التَّمْيِيزُ بَيْنَ الْحَرَكَاتِ، فَهُنَاكَ حَرَكَاتٌ مُنْعَلِقَةٌ وَهُنَاكَ حَرَكَاتٌ مُنْفَتِحَةٌ، وَهُوَ تَصْنِيفٌ تَوَصَّلَ لَهُ الْبَاحِثُونَ حَدِيثًا، ثُمَّ تَحَدَّثَ عَنْ نِظَامِ الْحَرَكَاتِ فِي اللُّغَاتِ السَّامِيَّةِ الَّتِي يُوجَدُ فِيهَا ثَلَاثُ حَرَكَاتٍ كُلُّ مِنْهَا يَأْتِي إِمَّا قَصِيرًا أَوْ طَوِيلًا فَيَكُونُ مَجْمُوعُهَا سِتَّ حَرَكَاتٍ، ثُمَّ تَحَدَّثَ عَنْ نِظَامِ الْحَرَكَاتِ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَهِيَ عَلَى حَدِّ تَغْيِيرِهِ تَمْتَلِكُ ثَلَاثَةَ أَجْزَائٍ لِكُلِّ جَرَسٍ مِنْهَا صُورَتَانِ إِمَّا قَصِيرَةٌ أَوْ طَوِيلَةٌ، وَحَاوَلَ بَعْدَ ذَلِكَ التَّأْصِيلَ لِمَفْهُومِ الْحَرَكَةِ كَمَا وَرَدَ عِنْدَ النُّحَوِيِّينَ الْعَرَبِ الْقُدَمَاءِ، وَوَجَدَ بِأَنَّ هَذَا الْمُصْطَلَحَ يَغْنِي عَنْدَهُمْ ذِيلَ الْحَرْفِ، لِذَلِكَ يَرَى أَنَّ هَذَا الْمَفْهُومَ هُوَ الَّذِي أَفْضَى إِلَى ذَلِكَ الْعُمُوضِ عَلَى كَامِلِ النَّظَرِيَّةِ الصَّوْتِيَّةِ عَنْدَهُمْ، وَيَرَى أَيْضًا أَنَّ الْحَرَكَاتِ الْقَصِيرَةَ عِنْدَمَا تَتَعَرَّضُ لِلْإِمَالَةِ أَوْ الْإِشْمَامِ أَوْ التَّفْخِيمِ فَإِنَّهَا قَدْ تَتَحَوَّلُ إِلَى حَرَكَاتٍ طَوِيلَةٍ وَتُسَمَّى عِنْدَئِذٍ حُرُوفَ الْمَدِّ، وَيَرَى أَيْضًا أَنَّ الْحَرَكَاتِ الطَّوِيلَةَ تَتَعَرَّضُ لِلْإِمَالَةِ أَوْ الْإِشْمَامِ أَوْ التَّفْخِيمِ أَكْثَرَ مِنَ الْحَرَكَاتِ الْقَصِيرَةِ، وَخَاصَّةً فِي نَظْمِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، حَيْثُ تَطُولُ فِتْرَةُ النُّطْقِ بِهَا فَتَزِيدُ مِنْ مَدَاهَا عَنْ الْحَدِّ الْمَعْرُوفِ لِلْأَصْوَاتِ الْعَادِيَّةِ، ثُمَّ تَحَدَّثَ عَنِ الْحَرَكَاتِ الْقَصِيرَةِ جِدًّا لِلْغَايَةِ وَهِيَ حَرَكَاتٌ عُرِفَتْ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْقَدِيمَةِ وَكَانَ الْعُلَمَاءُ يُطْلِقُونَ عَلَيْهَا الرُّوْمَ وَالْإِخْتِلَاسَ، وَلَمْ يُهْمَلِ الْكَلَامُ أَيْضًا عَنْ نِظَامِ الْحَرَكَاتِ فِي اللُّهَجَاتِ الْمُعَاصِرَةِ (كانتينو، 1966: 143 وما بعدها)، (زواقري، 2024، وينظر: 115-116).

4- الْقِسْمُ الرَّابِعُ: وَكَانَ بَعْنَوَانِ "دِرَاسَةٌ فِي الْمَقْطَعِ وَفِي ثَبْرَةِ الْكَلِمَةِ وَثَبْرَةِ الْجُمْلَةِ وَفِي الْإِيْقَاعِ".

تَحَدَّثَ كَانْتِينُو فِي هَذَا الْفَضْلِ عَنْ أَهَمِّيَّةِ الْمَقْطَعِ، ثُمَّ قَدَّمَ تَعْرِيفًا لِلْمَقْطَعِ، وَتَحَدَّثَ عَنْ أَنْوَاعِ الْمَقَاطِعِ، وَقَسَمَهَا عَلَى قِسْمَيْنِ: الْقِسْمُ الْأَوَّلُ عَلَى أَسَاسِ نَوْعِ الصَّوْتِ الَّذِي يَنْتَهِي بِهِ الْمَقْطَعُ، وَبِذَلِكَ يَكُونُ الْمَقْطَعُ إمَّا مُنْعَلِقًا أَوْ مَفْتُوحًا، وَالْقِسْمُ الثَّانِي عَلَى أَسَاسِ الْمَدَى فَيَكُونُ الْمَقْطَعُ إمَّا طَوِيلًا أَوْ قَصِيرًا، ثُمَّ تَعَمَّقَ أَكْثَرَ فِي حَقِيقَةِ الْمَقْطَعِ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْقَدِيمَةِ وَاللَّهْجَاتِ الْمُعَاصِرَةِ، تَحَدَّثَ بَعْدَهَا عَنِ الثَّبْرَةِ - وَهُوَ عَلَى الْغَلْبِ مُصْطَلَحٌ خَاصٌّ بِالْمُتَرْجِمِ -، وَوَضَّحَ كَانْتِينُو أَنَّ الثَّبْرَةَ بِهَذَا الْمَفْهُومِ لَمْ تَرُدْ فِي كُتُبِ النَّحْوِيِّينَ الْعَرَبِ الْقَدَمَاءِ وَلَا فِي كُتُبِ الْقِرَاءَاتِ، وَأَنَّ الْمُسْتَشْرِقِينَ الْأُورُوبِيِّينَ هُمْ مَنْ تَحَدَّثُوا عَنْ وُجُودِهَا فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، فَفِي نَظَرِ الْأُورُوبِيِّينَ أَنَّ الثَّبْرَةَ فِي كَلِمَةِ "قَاتِلَةٌ" تَقَعُ فِي الْمَقْطَعِ "قَا"، لَكِنَّ كَانْتِينُو يَزِدُّ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ هَذَا التَّحْلِيلَ لَا يَعْتَمِدُ عَلَى أَيِّ رِوَايَةٍ عَرَبِيَّةٍ قَدِيمَةٍ، وَأَنَّ النُّحَاةَ الْعَرَبَ وَعُلَمَاءَ الْقِرَاءَاتِ هُمْ أَدْرَى النَّاسِ بِلُغَتِهِمْ، فَلَيْسَ مَنْطِقِيًّا أَنْ يَغْفُلُوا عَنْ مَسْأَلَةِ كَهَذِهِ، ثُمَّ ذَكَرَ رَأْيَ الْمُسْتَشْرِقِ مَآيَارَ لَمْيَار (Mayer-Lambert) يَرَى فِيهِ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُسْتَشْرِقِينَ اسْتَلْهَمُوا فِكْرَةَ الثَّبْرَةِ مِنْ أَفْوَاهِ الْمُتَقَفِّينَ الْمَضْرَبِيِّينَ، وَالْأَمْرُ يَخْتَلِفُ فِي اللَّهْجَاتِ الْمُعَاصِرَةِ، إِذْ أَنَّ ظَاهِرَةَ الثَّبْرِ فِيهَا غَيْرُ ثَابِتَةٍ أَوْ وَاضِحَةٍ، وَبِذَلِكَ يُخَالِفُ كَانْتِينُو بَعْضَ الْمُسْتَشْرِقِينَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ الثَّبْرَ يَظْهَرُ بِشَكْلِ وَاضِحٍ فِي اللَّهْجَاتِ، وَوَصَفَ رَأْيَهُمْ بِأَنَّهُ مُبَالِغٌ فِيهِ (كَانْتِينُو، 1966، ينظر: 191 - 197)، (زواقري، 2024، وينظر: 116 - 117).

ثُمَّ تَحَدَّثَ كَانْتِينُو عَنِ الْإِيْقَاعِ فَقَدَّمَ تَعْرِيفًا لَهُ، وَأَشَارَ إِلَى أَنَّ الْإِيْقَاعَ مَوْجُودٌ فِي اللُّغَاتِ غَيْرِ الْعَرَبِيَّةِ كَالْفَرَنْسِيَّةِ وَالْهِنْدُأُورُوبِيَّةِ الْقَدِيمَةِ كَاللُّغَةِ

السُّنْسُكْرِيتِيَّةِ وَالْيُونَانِيَّةِ وَاللَّاتِينِيَّةِ، إِذْ يَكُونُ الْإِيقَاعُ عِنْدَهُمْ بِالْمُقَابَلَةِ بَيْنَ الْمَقْطَعِ الطَّوِيلِ وَالْمَقْطَعِ الْقَصِيرِ، وَهَذَا مَا يُوجَدُ أَيْضًا فِي الْعَرَبِيَّةِ الْقَدِيمَةِ وَيَتَّضِحُ مِنْ خِلَالِ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ، أَمَّا اللَّهَجَاتُ الْعَرَبِيَّةُ فَقَدْ اِعْتَلَّ بِهَا الْإِيقَاعُ اِعْتِلَالًا شَدِيدًا وَذَلِكَ بِذَهَابِ عَدَدٍ كَبِيرٍ مِنَ الْمَقَاطِعِ الْقَصِيرَةِ؛ لِأَنَّ اللَّهَجَاتِ أَكْثَرَ عُزْضَةً لِلتَّغْيِيرِ (كانتينو، 1966، ينظر: 197-199)، (زواقري، 2024، وينظر: 117).

خَتَمَ (جَانُ كَانْتِينُو) كِتَابَهُ بِقَائِمَةِ الْمَصَادِرِ وَالَّتِي كَانَتْ مُتَنَوِّعَةً مَا بَيْنَ الْمَصَادِرِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْمَصَادِرِ الْأَجْنَبِيَّةِ (كانتينو، 1966، ينظر: 200-205).

وَلَوْ تَأَمَّلْنَا عَنَاوِينَ كِتَابِهِ، سَنَلَا حِظًّا أَنَّ عُنْوَانَ كِتَابِهِ الْأَوَّلِ "دُرُوسٌ فِي عِلْمِ أَصْوَاتِ الْعَرَبِيَّةِ"، فَهَذَا الْعُنْوَانُ يُوحِي بِأَنَّ الْهَدَفَ الْأَسَاسِيَّ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ تَقْدِيمُ دُرُوسٍ وَشُرُوحَاتٍ؛ فَهُوَ كِتَابٌ يُقَدِّمُ الْمَعْلُومَاتِ بِطَرِيقَةٍ يَسْهَلُ فَهْمُهَا مِنْ قَبْلِ الْمُبْتَدِئِينَ. فَضْلًا عَنْ ذَلِكَ، يُوحِي بِأَنَّهُ يَتَنَاوَلُ الْأَصْوَاتَ اللَّغَوِيَّةَ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، أَيْ إِنَّهُ يَتَّخِذُ مِنَ الْأَصْوَاتِ الْعَرَبِيَّةِ مَحْوَرًا أَسَاسِيًّا فِي دِرَاسَتِهِ.

أَمَّا عُنْوَانُ كِتَابِهِ الثَّانِي "دِرَاسَاتٌ فِي اللِّسَانِيَّاتِ الْعَرَبِيَّةِ"، فَيُوحِي بِأَنَّهُ يَتَنَاوَلُ دِرَاسَةَ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ مَنْظُورٍ عِلْمِيٍّ وَاسِعٍ؛ فَهُوَ يَدْرُسُ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ مِنْ خِلَالِ تَطْبِيقِ الْمَنَاحِجِ اللَّغَوِيَّةِ الْحَدِيثَةِ، فَضْلًا عَنْ اِهْتِمَامِهِ بِدِرَاسَةِ كَافَّةِ مُسْتَوِيَاتِ اللُّغَةِ، ابْتِدَاءً بِالصَّوْتِ وَانْتِهَاءً بِالذَّلَالَةِ، فَضْلًا عَنْ الْمُقَارَنَةِ بَيْنَ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَاللُّغَاتِ الْأُخْرَى مِنْ أَجْلِ الْوُضُوحِ إِلَى أَبْرَزِ الْاِخْتِلَافَاتِ وَالتَّشَابُهَاتِ.

الخاتمة:

وفي حَصِيلَةِ هَذَا الْبَحْثِ، يُمَكِّنُ أَنْ نُلَاحِظَ أَنَّ جَانَّ كَانَتَيْنِو قَدْ تَرَكَ بَضْمَةً لَا تُمَحَى فِي تَارِيخِ الدِّرَاسَاتِ اللُّغَوِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَلَا سِيَّمَا فِي مَجَالِ عِلْمِ الْأَصْوَاتِ. فَقَدْ جَمَعَتْ شَخْصِيَّتُهُ الْعِلْمِيَّةُ بَيْنَ التَّخْصُّصِ الدَّقِيقِ فِي فُرُوعِ اللِّسَانِيَّاتِ، وَالْاهْتِمَامِ الْعَمِيقِ بِالتُّرَاثِ اللُّغَوِيِّ.

وَمِنْ خِلَالِ تَحْلِيلِ أَبْحَاثِهِ الْعِلْمِيَّةِ، وَخَاصَّةً فِي كِتَابِهِ "دُرُوسٌ فِي عِلْمِ أَصْوَاتِ الْعَرَبِيَّةِ"، فَقَدْ اِنْتَضَحَ لَنَا بِأَنَّ مِنْهَجَهُ قَدْ جَمَعَ بَيْنَ الْوُصْفِ الدَّقِيقِ وَالتَّحْلِيلِ. وَلَمْ يَكْتَفِ بِالْوُصْفِ فَقَطْ، بَلِ اعْتَمَدَ أَيْضًا عَلَى الْمَنْهَجِ التَّارِيخِيِّ فِي دِرَاسَتِهِ لِلنِّظَامِ الصَّوْتِيِّ؛ فَقَدْ كَانَ يَتَدَرَّجُ مِنَ اللُّغَاتِ السَّامِيَّةِ، مُرُورًا بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْفُصْحَى، اِنْتِهَاءً بِاللَّهْجَاتِ الْمُعَاَصِرَةِ.

وَهُوَ أَسْلُوبٌ يَجْعَلُ الْقَارِئَ عَلَى اطِّلَاعٍ عَامٍّ بِأَهَمِّ التَّغْيِيرَاتِ الصَّوْتِيَّةِ الْحَاصِلَةِ عَبْرَ الزَّمَنِ. فَضْلًا عَنْ ذَلِكَ، نُلَاحِظُ أَنَّهُ لَمْ يَهْمَلْ دِرَاسَةَ النُّحُومِ الْعَرَبِ الْقُدَامَى؛ فَهُوَ عِنْدَمَا يَتَحَدَّثُ عَنِ الْمَخَارِجِ وَعَنِ الصِّفَاتِ... إِلَى آخِرِهِ، كَانَ يُورِدُ أَقْوَالَ عُلَمَائِنَا الْقُدَامَى: سَبِيئُونِهِ، وَابْنِ يَعِيشَ، وَالزَّمْخَشَرِيِّ... إلخ، وَكَانَ يَقَارِنُ بَيْنَ هَذِهِ الْأَقْوَالِ وَيَبَيِّنُ مَا وَرَدَ فِي كُتُبِ الْمُحَدِّثِينَ، وَلَمْ يَكُنْ مُجَرَّدَ نَاقِلٍ، بَلْ كَانَ يَقَارِنُ وَيَحْلِلُ وَيَجْتَهِدُ فِي أَغْلَبِ الْأَحْيَانِ مِنْ أَجْلِ الْوُضُوحِ إِلَى الْحَقِيقَةِ.

وَمَعَ ذَلِكَ، لَا تَخْلُو أَعْمَالُ كَانَتَيْنِو مِنْ بَعْضِ النَّقَاطِ الَّتِي تَسْتَدْعِي النَّقَاشَ وَالتَّحْلِيلَ فِي ضَوْءِ الْمُعْطِيَّاتِ الْحَدِيثَةِ فِي عِلْمِ الْأَصْوَاتِ، كَمَا أَنَّ الْمُصْطَلَحَاتِ الَّتِي اسْتَعْمَلَهَا وَبَعْضَ التَّصْنِيفَاتِ وَالتَّقْسِيمَاتِ الَّتِي اعْتَمَدَهَا، مِنْ الْمُمْكِنِ أَنْ تَخْضَعَ لِإِعَادَةِ تَقْيِيمٍ فِي ضَوْءِ التَّطَوُّرَاتِ الصَّوْتِيَّةِ.

وَأَبْرَزُ الْمُؤَلَّفَاتِ الَّتِي عُرِفَتْ لـ جَان كَانْتِينُو (Jean Cantineau) وَكَانَ لَهَا أَثَرٌ كَبِيرٌ فِي الدِّرَاسَاتِ الَّتِي تَخُصُّ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ هُوَ كِتَابُ "دُرُوسٌ فِي عِلْمِ أَصْوَاتِ الْعَرَبِيَّةِ" الَّذِي اتَّخَذَ مِنْ دِرَاسَةِ الْأَصْوَاتِ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ أَسَاسًا لِلْبَحْثِ، فَضْلًا عَنْ تَقْدِيمِهِ لَشُرُوحَاتٍ وَتَوْضِيحَاتٍ بِطَرِيقَةٍ وَاضِحَةٍ حَاوَلَ مِنْ خِلَالِهَا تَسْهِيلَ الْأَمْرِ عَلَى الْبَاحِثِ قَدَّرَ الْإِمْكَانَ.

وَكَذَلِكَ كِتَابُ "دِرَاسَاتٌ فِي اللِّسَانِيَّاتِ الْعَرَبِيَّةِ" الَّذِي يُوجِي عُنْوَانُهُ بِدِرَاسَةِ لِسَانِيَّةٍ عَامَّةٍ، لَكِنَّ مَضْمُونَهُ فِي الْحَقِيقَةِ خَصَّصَ لِدِرَاسَةِ اللِّهْجَاتِ الْعَرَبِيَّةِ وَتَنَوُّعَاتِهَا وَتَوَزِيعِهَا الْجُغْرَافِيَّ، مَعَ رِبْطٍ دِرَاسَتِهَا بِالْجَوَانِبِ الصَّوْتِيَّةِ الْمُخْتَلِفَةِ.

وَفِي الْخِتَامِ يُمْكِنُ أَنْ يَقَالَ إِنَّ الْبَحْثَ فِي إِرْثِ كَانْتِينُو يَفْتَحُ آفَاقًا وَاسِعَةً لِدِرَاسَاتٍ مُسْتَقْبَلِيَّةٍ، تَتَنَاوَلُ مِنْهَجَهُ فِي ضَوْءِ النَّظَرِيَّاتِ الْحَدِيثَةِ فِي عِلْمِ الْأَصْوَاتِ، وَتَقُومُ بِتَحْلِيلِ أَعْمَالِهِ تَحْلِيلًا تَقْدِيًّا مُعَمَّقًا، فَجُهِودُهُ تَسْتَحِقُّ التَّقْدِيرَ وَالدِّرَاسَةَ الْمُسْتَمِرَّةَ، بِاعْتِبَارِهَا لَبَنَةً أَسَاسِيَّةً فِي صَرْحِ الدِّرَاسَاتِ اللُّغَوِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ.

مصادر البحث:

- ابن جني، أبي الفتح عثمان. سر صناعة الإعراب، تحقيق حسن هنداوي، دار القلم، سوريا، ط1، 1985م.
- ابن سينا، الشيخ أبي علي الحسن بن عبد الله. أسباب حدوث الحرف. تحقيق محمد حسان الطيان، يحيى مير علم، تقديم شاكِر الفحام وأحمد راتب النفاح، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق.
- الحاج صالح، د. عبد الرحمن. بحوث ودراسات في اللسانيات العربية. موفم للنشر، الجزائر، 2012م.

- حمزة، بوداود. بلالطة، براهيم. مبادئ التحليل الفونولوجي / جامعة أحمد بن زبانه - الجزائر، مجلة الصوتيات/ المجلد 19/ العدد 1، 2023م - 1444هـ (بحث منشور)
- زواقري، الأستاذ عادل. جهود جان كانتينو في نقل الدرس الصوتي العربي إلى الغرب: مجلة اللغة العربية، الجزائر، المجلد 26، العدد 65، 2024.
- سيويو، أبي بشر عمرو بن عثمان. الكتاب: تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ودار الرفاعي، الرياض، ط2، 1402-1982م.
- الصيغ، عبد العزيز. المصطلح الصوتي في الدراسات العربية. دار الفكر: دمشق، الطبعة الاولى، 2007م - 1427 هـ
- العاني. سلمان حسن. التشكيل الصوتي في اللغة العربية فونولوجيا العربية. ترجمه: ياسر الملاح، النادي الأدبي والثقافي / جدة المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: 1983م - 1403 هـ
- العقيقي، نجيب. المستشرقون. دار المعارف، القاهرة، ط5، 2006م.
- علي، بشرى حسين. الصوتيات النطقية العربية في دراسات المستشرقين. جامعة بغداد: 2015م - 1436هـ (أطروحة دكتوراه)
- كانتينو، جان. دراسات في اللسانيات العربية. ترجمة محمد الشاوش، معهد تونس للترجمة، تونس، 2017م، ط1.
- كانتينو، جان. دروس في علم الأصوات العربية. ترجمة الدكتور صالح القرمادي، نشریات مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 1966م.

المقالات المنشورة على الأنترنت:

- الرحماوي، ترجمة ست منى جويد. "جان كانتينو 1899-1956".
العدد 1 (1956). استاذة مادة الترجمة - جامعة ستوكهولم/ السويد.
https://isamveri. org/pdfdkm/03/DKM030961. pdf (مقال منشور)

- ستانلي، لامباش. "جان كانتينو": 1899-1956. (مقال منشور)
WORD 12. 1 (1956): 115-115. https://doi. org/10.
11659594. 1956. 1080/00437956. ترجمة د. هدى عبد علي جامعة
بغداد/ كلية التربية (ابن رشد) مسؤولية التوفل: اللغة الانكليزية.

- فليش: هـ. وستاركي، جـ. "جان كانتينو". (1958). (مقال منشور)
- كاليك، جنكيز. "جان كانتينو". المجلد السابع من موسوعة الإسلام
الصادرة في اسطنبول عام 1993 (مقال منشور).
https://islamansiklopedisi. org. tr/cantineau-jean

- لويس، مارسويه، روبرت. وويليام. إيلوج فونبير دي إم. "جان كانتينو".
(مقال منشور) -0065-crai_ persee. fr/doc/0536_1956_num_100_2_10577
https://www.